لقد أبرز بايرون بطولة الشعب الاسباني النادرة ولكن نابليون مايزال سيد القارة ولا يبدو ان هناك من هو أقوى منه . ولذا فان بايرون يشك في قدرة الشعب الاسباني على قهره . من هنا ينطلق التشاؤم في شعره . وهو تشاؤم من روح انسان يتعاطف مع الشعوب المناضلة ولا علاقة له ابدا بالفلسفة الغيبية التي كانت من صفات الرومانتيكية الرجعيـــة .

ايها الفتيان يا شباب اسبانيا
هل قضت الأقدار عليكم بالموت والفناء
أحقا لامفر من الخيار بين الركوع أوالقبر .
بين حكم العدو وهلاك البلاد بأسرها ؟
هل قضي عليكم بأن تكونوا مستراحا لقدمي الطاغية ؟
اين الله ؟ أم هو لايراكم ايها الابطال ؟
أم أن آهات الضحايا لاتسمع في السماء ؟
أم باطل كل شيء : البطولة والجرأة
والدم والبسالة ووقد ارواح الشبيبـــة .

وتقدم اليونان مادة رائعة لقصيدة بايرون الذي اظهر بصيرة نفاذة عندما حذر اليونانيين من تعليق الآمال على مساندة الحلفاء الأجانب . وهاجم بلاده التي استغلت وضع اليونان المثخنة بالجراح وفرصة الحرب لتسرق كنوز الاكروبول وتحملها الى لندن وقال ان الشعب الذي يطلب الحرية يجب ان يسعى اليها بنفسه والا فانه سيظل مستعبدا من قبل الأتراك أومن قبل سواهم .

ويتغنى بايرون بامجاد اليونان القديمة ويقارنها بالوضع الذليل الذي تعيشه الآن . ولكن هذا التغني لايمنعه مـــن رؤية امجاد شـــعوب البلقان الأخـــرى ، بل ان هجومه العنيف على الطغيان التركي لم يمنعه من ابداء الاحترام العميق نحو الشعب التركي الباسل . وكان بايرون انسانيا الى أقصى حد عندما رفض النظرة التي كانت سائدة في الأوساط الشوفينية الحاكمـــة انذاك وأن يجعـــل حدود المعركة بين « الصليب والهلال » ، وهاجم التعصب وفضح الروح المعادية للشعب عند مؤججي الصراع الديني . وقد استطاعت هذه النظرة الانسانية ان تجعل بايرون الشاب ينظر الى الشعوب البلقانية المسلمة نظرة أصح وأسلم من النظرة السائدة في